المبـــــاحث الصوتية في معجم لسان العرب

الأستاذ/ أحمد بن عجمية
جامعـــــــــــة الشلف

تمهيد : يعد معجم لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) من المعاجم اللغوية الشهيرة التي لا يستغني عنها الباحث والدارس و اللغوي،وحين نقف على المعجم و الذي ناهزت مواده أل(80.000) مادة حسب رواية – عبد الغفور عطار – في كتابه (مقدمة الصحاح) نجد مؤلفه قد درج على استحضار أبـــــرز الآراء النحوية و الصرفية التي يستدل بها في المادة إن وجدت ثم يدعمهـــا ببعض الآثـــار المنثـــورة و المنظومة و الأمثال العربية ، و قد اهتم بالمباحث الصوتية في مداخله ، لأهمية الصوت في الدراسات اللغوية صيغـــة و تركيبـــا و دلالة مما رفع اللبس عن كثير من الألفاظ ووضح دلالتها .

و يعد ابن منظور معجميا رائدا في مجال المباحث الصوتية، و يتجلى ذلك في مقدمة اللسان و التي اشتملت على بعض المبادئ و البحوث اللغوية لها.وزنها في الدراسات اللغوية الحديثة، و قد تكون هذا امتدادا لآراء سابقة أو تسجيلا جديدا لها من ذلك حديثـــــــه عن صفة الحـــروف و أجناسهـــا في باب (ألقـــاب الحروف و طبائعها و خواصها)؛فمن ألقاب الحروف يتناول صفة الحرف و يصنفها صنفين:

مهموسة: اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية وعدها (عشرة أحرف).

مجهورة: لم يتسع لها المخرج فلم تسمع لها صوتا و هي (19 حرفا) .

و يقسمها كذلك إلى شديدة و رخوة و قد وضع الأصوات يجمعها لقبان : المصمتة و المذلقة و هي ستة أحرف – ثلاثة ذلقية (ل.ر.ن) و ثلاثة شفوية (ب. ف.م) و البقية حروف مصمتة ، و علل تسمية الذلاقة بان عملها من طرف اللسان ، و طرف كل شيء دلقه،وسميت الأخرى مصمتة لأنها أصمتت – منعت – أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان .

1. تعريف الصوت:عرف ابن منظورالصوت فقال:(الصوت:الجرس – معروف مذكر.

و يقال:صات،يصوت صوتا فهو صائت ، معناه صائح. (1) و الصيت و الصات:الذكر الحسن .

* أما اصطلاحا: فالصوت هو الأثر السماعي الذي يصدر طواعية أو اختيارا عن أعضاء النطق له مخرج و صفات حامل لها. و هو بهذا المعنى عملية نطقية تدخل في تجارب الحواس و على الأخص السمع و البصر ، يؤديه الجهاز النطقي حركة و تسمعه الأذن أثرا و تراه العين حين الأداء

و يوضح ابن خلدون (ت-808-ه) "بان العرب بعد اختلاطهم بالعجم تغيرت ملكتهم بما القي إليها السمع من المخالفات التي للمعربين و السمع أبو الملكات. (2)

1. مخارج الأصوات : لقد أشار ابن منظور إلى مخارج الأصوات في مدخل كل باب من أبواب المعجم ، يقدم الصفة على المخرج من ذلك قوله في باب (الباء : من الحروف المجهورة ، و من الحروف الشفويـــة ،و سميت شفوية لان مخرجها من الشفتين ،و لا تعمل الشفتان في شيء من الحروف إلا فيهـــــــا و في الفاء و الميم) .(3) فهو ههنا يحدد صفة الحرف و يبين مخرجها و يعلل سبب التسمية و يلحقها بالأصوات التي هي من نفس المخرج ، أي ينسبها إلى حيزها ؛ و إذا تتبعنا هذا العمل في مختلف أبواب المعجم وجدناه ينهج نفس المنهج ؛أي يذكر الصفة ثم يعقبه بذكر المخرج . (4)

1. اللسان – صوت – 7 / 435
2. المقدمة – ابن خلدون – 712/2
3. اللسان – الباء – 1 / 297
4. الخروج: نقيض الدخول، قد يكون المخرج موضع الخروج.

و قد تتبعت ذلك ووضعت المخارج في جدول منطلقا من الشفتين على طريقة المحدثين و منتهيا إلى الحــلق و مبينا صفة الحروف ، على النحو التالي :

الجدول

الرقم	المخارج	صفة الجهر	صفة الهمس	نسبة الهمس إلى الجهر
1	الشفوي	ب – م	و	1/3
2	اللثوي	ذ – ظ	ث	1/3
3	النطعي	د – ط	ت	1/3
4	الشجري	ج – ض	ش	1/3
5	الأسلي	ز –	س – ص	2/3
6	الذلقي	ل – ن – ر	/	0/3
7	اللهوي	ق	ك	1/1
8	الحلقي	أ – ع – غ	ح – خ – ه	3/3
9	الهوائي	ا – و – ي	/	0/3
المجموع	09	19	10	

و تعليق: توصل ابن منظور بعد أن حدد مخارج الحروف و صفاتها إلى ذكر مجموعة من الأحكام لضبط الحروف و تأليفها في التراكيب اللغوية أو عدمه، و صنفها إلى ثلاثة أقسام:

1) ما هو واجب التأليف في التركيب .
2) ما يحسن التركيب الصوتي إن وجد .
3) ما يمتنع وقوعه .

القسم الأول : خصه لحروف الذلق (*) و الشفوية (راجع الجدول) ، لأنها لما ذلقت الحروف الستة و بذل بها اللسان و سهلت في المنطق كثرت في أبنية الكلام ،

" فإذا ورد عليك خماسي معرى من الحروف الذلق و الشفوية فاعلم أنه مولد ، و ليس من صحيح كلام العرب " . (1)

القسم الثاني : خاص بحرفي (العين و القاف) و هما حرفان " لا يدخلان على بناء إلا حسناه، لأنهما أطلق الحروف، أما العين فانصع الحروف و ألذها سماعا، أما القاف فأمتن الحروف و أصحها جرسا فإذا كانتا أو أحداهما في بناء حسن لنصاعتهما " . (2)

القسم الثالث : فيكون في الحروف التي تصدر من مخرج واحد مثل (الحاء و الهاء) لم يأتلفا في كلمة واحدة أصلية الحروف و قبح ذلك على ألسنة العرب لقرب مخرجيهما . (3)

3. صفات الحروف:إذا كان المخرج يشمل على أكثر من صوت وأنه شيءأساس في إنتاج الأصوات ،وإذا كانت كل مجموعة من الأصوات مشتركة في مخرج واحد فإنها تظل بحاجة ماسة إلى أساس آخر يفرق بين كل واحد منها و بين الآخر في نطاق المخرج الواحد ، و هنا يأتي دور الصفات التي

---

* سميت الحروف الذلقية ذلقا ، لأن ذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان .

1. اللسان – الراء . 75/5 و اللام 107/12 و النون 05/14
2. مقدمة العين الخليل – و انظر لسان العرب – عا – 05/9 .
3. لسان العرب – الحاء . 05/3 . و انظر اللسان – ها – 05/15

تتصف بها الأصوات التي تعتبر الأساس السمعي للتفريق بينهما " . (1)و قد أشار إلى هذه الخاصية سيبويه (ت 180 هـ) حين قال : (لولا الإطباق لصارت الطاء دالا و الصاد سينا و الظاء ذالا) . (2)و الإطباق صفة فارقة بين الأصوات المتماثلة في المخرج و الصفة معا كالطاء و الدال مثلا ، كلاهما من مخرج واحد و صفة واحدة (*) و لولا التفريق بينهما بالإطباق لأصبحا حرفا واحدا ، و تؤدي هذه الصفات دورا بارزا في تعديل وجوه جمة أثناء عملية التزاوج و التشكيل الصوتي(*) كالمماثلة و الإبدال و القلب ، و تتجلى هذه الصفات ثنائية و انفرادية .

أولا : الصفات الثنائية : و نعني بها أن لكل صفة مقابلها .

أ -الجهر و الهمس :

- فالجهر لغة : " ما ظهر و تقول جهرت القول و جهرت به إذا أعلنته " . (3)
- أما اصطلاحا : نقل ابن منظور عن ابن كيسان قوله " إن الصوت المجهور هو" مما لزم موضعه قضاء حروفه و حبس النفس أن يجري معه فصار مجهورا ، لأنه لم يخالطه شيء بغيره " (4) ، و عدها ابن منظور (19 حرفا) تميزت بوضوح صوتها فهي أصغى و أندى من نظائرها .

---

1. اللغة العربية معناها و مبناها – تمتم حسان – ص67 – عالم الكتب ط3 – سنة 1998 .
2. الكتاب – سيبويه – 436/4 .

* المخرج النطعي – و الصفة الأساسية هي الجهر ، و الصفة الثانوية هي الشدة .

* ستجد في مبحث الإعلال و الإبدال أثرا للهمس و الجهر في التجانس الصوتي داخل الكلمة

3. اللسان – جهر – 397/2 .
4. المصدر نفسه.

consonnes sonores :

و المهموسة عنده " حرف أضعف الاعتماد من موضع حتى جرى معه النفس " (1) و تعد صفة الهمس صفة ضعف و يظهر ذلك جليا من خلال نطق صوت (الظاء) المجهور و شريكه (الثاء) المهموس و هما من مخرج واحد .و عرفها ابن دريد (ت 321 ه):" و سميت مهموسة لأنه اتسع لها المخرج فخرجت كأنها متفشية و المجهورة لم يتسع مخرجها فلم تسمع لها صوتا " . (2)

هذه آراء القدامى، أما المحدثون فيكادون يتفقون مع القدامى في الصفتين السالف ذكرهما ،غير أنهم " عرفوا الوترين الصوتيين و ما لهما من علاقة لعملية الجهر و الهمس " .(3) و لاحظوا أنهما ينشآن من ذبذبة الوترين الصوتيين و تأثرها بالهواء الخارج من الرئتين و عدم تأثرهما و ذبذبتهما .

" و لا شك أن هذا التأثير مرتبط بفتحة المزمار في انقباضها و انبساطها ، فإذا انقبضت هذه الفتحة ضاق مجرى الهواء ، و اقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر ، فيؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز و هذا يحدث مع الصوت المجهور،أما إذا انبسطت فتحة المزمار اتسع مجرى الهواء و ابتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر،بحيث لا يؤثر فيهما الهواء الخارج من الرئتين بالاهتزاز و هذا يحدث عندما يكون الصوت مهموسا " . (4)

ب الأصوات الشديدة و الرخوة :

- الشدة لغة : تعني " الصلابة و هي نقيض اللين ، تكون في الجواهر والأعراض " . (5)

---

1. اللسان – همس – 133/15 .
2. الجمهرة – ابن دريد – 8/1 .
3. ينظر الأصوات اللغة العربية – عبد القادر حامد هلال – 135 .
4. الأصوات اللغوية إبراهيم أليس ص 20–21 .
5. اللسان – شدد – 54/7 .

- الرخاوة : لغة أي " لين صوت (1) و جريانه عند التلفظ به لضعفه و ضعف الاعتماد عليه في مخرجه " . (2) أوضح سيبويه بخصوص الشديدة (و من الحروف الشديدة و هو الذي يمنع النفس أن يجري فيه " . (3) و بين ابن منظور بأمثلة حية معنى منع جريان الصوت نحو : الحق و الشرط إذ لا يمكن مد الصوت بحرفي : القاف و الطاء . و بمعنى آخر " هو كمال انحباس جري الصوت عند النطق لكمال قوة اعتماده على مخرجه " . (4)

* و الحروف الشديدة ثمانية و هي : الهمزة – القاف – الكاف – الجيم – الطاء و التاء و الدال و الباء و يجمعها في اللفظ قولك : أحدك طبقت . (5)

* و الرخوة ثلاثة عشر و هي : الهاء و الحاء و الغين و الخاء والشين و الضاد والصاد و الزاي و السين و الظاء و الثاء و الذال والفاء ، و ذلك إذا قلت : الطش و انقض و أشباه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت(6) و كأنه خير الناطق بين إجراء الصوت أو عدمه ، و بين هاتين الصفتين نجد صفة التوسط ، و هو الذي بين الشدة و الرخاوة ، و معناه في اللغة الاعتدال . (7)

و الحروف المتوسط هي: ل – م – ي – ر– و– ع – ن– ا.

و من ههنا نجد المصطلحين الشدة و الرخاوة يتناوبان على الأصوات المجهورة و المهموسة ، و يمكن وضعها في الجدول التالي :

---

1. اللسان – رخا – 181/5 – الرخوة و الرخاوة و الرخو: الهش من كل شيء و بالكسر أشهر.
2. الكتاب – سيبويه 434/4 – و انظر صناعة الإعراب 61/1 .
3. المصدر نفسه و انظر لسان العرب – شدد – 55/7 .
4. أحكام قراءة القرآن خليل الحصري ص 87 .
5. برضاعة الأعراب 61/1 – و أنظر لسان العرب – شدد – 55/7 .
6. الكتاب 434/4 و انظر اللسان رخا 181/5 .
7. المعجم الوسيط – وسط – إبراهيم أنيس و آخرون – 1031/2 .

الجهر		التوسط	الهمس	
الشدة	الرخاوة		الشدة	الرخاوة
أ – ج – د– ط – ب – ق	غ – ض – ز – ظ – ذ	ل – م –ي – ر – و– ع – ن – ا	ك – ت	هـ – ح – خ – س – ش – ص –ث – ف

ج – الأصوات المستعلية و المنخفضة :

و معنى الاستعلاء : " أن تصعد في الحنـــك الأعلى فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق ، و أما الخاء و الغين و القاف فلا إطباق فيها " . (1)

و عن الإطباق يوضح ابن منظور : " أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى ، ثم يردف قائلا : و لو لا الأطباق لصارت الطاء دالا و الصاد سينا و الظاء ذالا و أخرجت الضاد من الكلام ، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها " . (2)

ثم أحصاها فقال " و الحروف المطبقة أربعة : الصاد و الضاد و الطاء و الظاء و مـــا ســـوى ذلـــك فمفتوح غير مطبق " .

و هكذا فالأطباق في اللغة العربية نوع من الاستعلاء ، فإذا أردنـــا الازدواج و المقابلـــة فـــي الإطباق و الترقيق من مخرجها وجدناها ثلاثة أصناف هي : (ظ ≠ ذ) ، (ط ≠ د) (ص ≠ س) ، أما الضاد فلا مقابل لها ، و هو غريب عن اللغات إلا العربية لذلك العربية به ، و يقابل الحـــروف المستعلية الحروف المنخفضة أو المستقلة و هي الأصوات التي يستقل اللسان عند لفظها إلـــى الحنـــك الأسفل ، و هي 22 حرفا.

د – أصوات الذلاقة و الاصمات :

و الذلاقة : هي حدة اللسان و بلاغته و ذرا بته(3)

---

1. سر صناعة الإعراب – ابن جني 62/1 – و انظر صبحي الصالح – فقه اللغة ص 282 .
2. لسان العرب – طبق – 121/8 .

3. مقاييس اللغة – ابن فارس – ذلق

و الذلق : " طرفه المستدق " . (1)

- و اصطلاحا : " خفة الصوت و سهولة النطق " . (2)

* و سميت هذه الحروف ذلقا ، لان الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلـــــة اللسان و الشفتين و هما مدرجتا الأحرف الستة ، منها ثلاثة ذلقية و ثلاثة شفوية . (3)

و يوضح ابن منظور في عدم خلو البناء الرباعي أو الخماسي في العربية من أصوات الذلاقة و ذلك لخفتها و سهولتها .

فيقول : " متى وجدت كلمة معراة من بعض هذه الحروف الستة فاقض بأنه دخيل في كـــلام العرب و ليس منه " . (4)

- أما الاصمات : فمعناها لغة " المنع لأنه من صمت إذا منع نفسه من الكلام " . (5)
- و اصطلاحا : " منع انفراد هذه الحروف أصولا في كلمة تزيد عن ثلاثة أحرف بأن كانت أربعة أو خمسة " . (6)

و علة ذلك أن هذه الحروف صعبه على اللسان ن و هي الحروف الهجائية الباقية عدا الستة المذلقة .

هـ – <u>الإطباق و الانفتاح :</u>

سبق و أن عرفنا الإطباق و عددنا حروفه ، و نبين أن الإطباق ذات أثر بالغ في عملية التشكيل الصوتي و خاصة الإبدال . و يقابل مصطلح الإطباق الانفتاح .

---

1. جمهرة اللغة – ابن دريد .
2. الخليل – العين – 51/1 – انظر لسان العرب – ذلق – 54/5 .
3. المصدر نفسه – انظر سر صناعة الأعراب 61/1 .
4. اللسان * ذلق 54/5 .
5. اللسان – صمت – 400/7 .
6. أحكام القرآن محمد خليل الحصري ص 96 .

لقد عرف ابن منظور الانفتاح بقوله : " فالانفتاح من انفتح نقيض الإغلاق " . (1)
و سميت الحروف منفتحة لأنك " لا تطبق لشيء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنـــك الأعلـــى " (2) و عددها خمسة و عشرون .هكذا هي الصفات التي تتميز بها الأصوات العربية ، و هذا حسب التقابل ، أي أن لكل صفة ضدها و هي خمس صفات و ما يقابلها كذلك ، غير أن هناك أصواتا تميزت بصفات مميزة لا ضد لها وهي :

ثانيا : الصفات الافرادية :

أ – الصفير : ورد في اللسان الصفير : من الصوت بالدواب إذا سيقت ، وصـــفر يصـــفر صـــفيرا وصفر بالحمار وصفر دعاه إلى الماء .... وصفر الطائر يصفر صفيرا أي مكا . (3)
وظف ابن منظور هذا المصطلح للدلالة على ميزة تختص بها مجموعة من الأصوات و هذه الميـــزة هي الحدة و الشدة و الوضوح السمعي.و هذه الأصوات هي: الصاد و السيـــــــن و الزاي، مخرجها من أسلة اللســـان و الصفير نسبة للصفة. (4)
ب – التفشي: صفة الشين تتميز بكثرة انتشار الهواء بين اللسان و الحنك." و لو لا التفشي لصـــارت الشين سينا ، كما يحدث لبعض ذوي العيوب النطقية و لا سيما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممـــن حولهم " . (5) يقول ابن الجزري : " و حرف التفشي هو الشين اتفاقا لأنه تفشى في مخرجـــه حتـــى اتصل بمخرج الطاء ، و أضاف بعضهم إليها الفاء " . (6)

---

1. اللسان – فتح – 170/10 .
2. الكتاب سيبويه 434/4 .
3. اللسان صفر – 361/7 .
4. المصدر نفسه 265/7 .
5. الأصوات اللغوية – عبد القادر عبد الجليل ص 275 .
6. النشر في القراءات العشر – ابن الجزري 205/1 .

ج – الاستطالة : و هي امتداد الصوت بالضاد من أول حافة اللسان إلى آخرها . (1)

د – التكرار : صفة تطلق على صوت الراء في اللغة .

و يذهب ابن منظور أن المكرر من الحروف " الراء ، و ذلك لأنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغير بما فيه من التكرير " . (2)

هـ – الانحراف : (الجانبي) : latérale . و الانحراف لغة : تعني انحرفت عن الشيء و حرفته أنا عنه. إذا عدلت به عنه " (3) يعبر عنه في الدرس اللساني الحديث بالجانبي .

و – القلقلة : معناها لغة : " الحركة و الاضطراب " . (4)

يقال: قلقل الشيء قلقلة وقلقالا أي حركه فتحرك و اضطرب . (5)

و حدد ابن منظور القلقلة في الحروف التالية : (الجيم و الطاء و الدال والقاف و الباء) و علل التسمية لكونك " لا تستطيع أن تقف إلا مع الصويت لشدة ضغط الحرف ، و بعض العرب أشد صوتا كأنهم الذين يرومون الحركة " . (6)

و علل بعض اللغويين المحدثين اختصاص هذه الحروف بالقلقلة لكونها جمعت بين صفتي الجهر و الشدة، و ذكروا أن القلقلة نوعان كبرى أو قوية حين تكون في نهاية الكلمة عند الوقوف ، و صغرى عندما تكون داخل الكلمة . (7)

---

1. دراسات في فقه اللغة – صبحي الصالح 283 .
2. اللسان – كرر – 64/12 .
3. المقاييس – ابن فارس حرف .
4. اللسان – قلل – 290/11 .
5. المصدر نفسه .
6. الكتاب – سيبويه 174/4 . و أنظر لسان العرب – قلل 290/11 .
7. الدراسات الصوتية و اللهجية عند ابن حني – حسن سعيد النعيمي ، و انظر محاضرات في فقه اللغة الزبير دراتي ص 69 – د. م.ج. وهران.

ز – الاشراب : تعني لغة خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر،وقال بعض النحويين من المشربة حروف يخرج معها عند الوقوف عليها نحو النفخ ، إلا أنها لم تضغط المحقورة .... و بعض العرب أشد تصويتا.(1)و من المشربة نوعان:المتقلقلة سبق ذكرها و المنفوخة وأصواتها:الزاي، الظاء ، الذال و الضاد وقد عبر عنها سيبويه بقوله : " اعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها،فإذا وقفت خرج معها من الم صويت و بنا اللسان عن موضعه،وهي حروف القلقلة " . (2) و يكون الجهد المبذول في النوع الثاني أقل من سابقتها ، لأنها لم تضغط ضغط المتقلقلة لافتقارها إلى الشدة و نتيجة لرخاوتها لا تتبع بصوت و إنما بنفخ . (3)

ح – المهتوت : صفة تطلق على الهاء لما فيها من الضعف و الخفاء . و يوضح ابن جني بقوله : " و من الحروف المهتوت ، و هو الهاء و ذلك لما فيها الضعف و الخفاء " . (4)

ط – الغنة : صوت في الخيشوم (5)، و هي أن يجري الكلام في اللهاة و هي أيضا أن يشرب الحرف صوت الخيشوم. و يرى إبراهيم أنيس أنها " صوت الحرف من الخيشوم(6) و حروفه الميم و النون لأنه يعتمد لهما في الفم و الخياشيم فتصير فيهما غنة " . (7)

و لعل من نافلة القول أن ندرج أن مؤلفات المحدثين في علم الأصوات لا تخلو من التوسع في شرح و تبيان مخارج الحروف و صفاتها التي منها القوي والضعيف ؛ فصفات القوة تجلت في الجهر والشدة و الاستغلال

و الإطباق و الاصمات و الصفير و القلقلة و الانحراف والتكرار و الغنة و صفات الضعف بقيت في الهمس و الرخاوة و الاستعلاء و الانفتاح و الذلاقة و الخفاء ، و قد أضافوا الجديد و ابتكروا بذلك مصطلحات صوتية تعين على توضيح ما يقع بين الأصوات صامتها و صائتها كمصطلح الانهجارية والاحتكاكية مثلا .

---

1. الكتاب – سيبويه – 174/4 – سر صناعة الأعراب – ابن جني – 63/1 . و انظر اللسان – شرب 67/7 .
2. / 3. المصدر نفسه .
4. سر صناعة الأعراب – ابن جني 64/1 .
5. اللسان – غنن – 134/10 .
6. / 7 الأصوات اللغوية إبراهيم أنيس .

التشكيل الصوتي : يعرف التشكيل الصوتي بأنه تغيير و تلوين يلحقه الصوت المدرك فيغير أصل مادته ، كالإدغام و الإبدال و القلب أو يغير صورته النطقية فقط ، أو الدلالية كالتفخيم و الترقيق و الإمالة ، و من ثمة فهو أشكال متنوعة تلحق الصوامت و الصوائت معا .و من أشهر تشكيلات الصوامت و تلويناتها .

1. المماثلة الصوتية: (الإدغام) يعني لغة "إدخال اللجام في أفواه الدواب " .(1)

و منه اخذ المعنى الاصطلاحي إذ نجده في قول الأزهري(ت 370 هـ)" و إدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هنا " . (2) و يرتبط التعريف اللغوي لدى القدامى بما ألفه العربي من عيش البداوة و ركوب الخيل و الشد بلجامها لكبحها ، فما انفك تعريفهم يذكر حال الحرف المدغم و انتقال في النطق إلى المدغم فيه مشبهين عملهم في الأداء بإدخال اللجام في فم الفرس .

تتركب لفظة دغم من حروف ثلاثة حروف . الدال ، الغين و الميم و تتصف كلها بالجهر ، أما إذا كانت مزيدة فتصير (أدغم) . و الصيغة الثلاثية – دغم – و إن تشابهت حروفها جهرا ، اختلفت في باقي الصفات ؛ فالدال شديدة و الغين رخـــــــوة و الميم متوسطة و تنفرد (الغين) بالاستعلاء(3) ، و تتقاسم الدال و الميم الاستفال و تختص (الميم) بفضيلة الغنة(4) ، و بالرجوع إلى المخرج فهي شفوية خيشوميـــة .

و كأن الغين إذا وقعت في الكلمة دلت على الخفاء . (5)

---

1. / 2. التهذيب الأزهري 78/18 . و انظر اللسان دغم . 366/4 .
3. اللسان – غين – 162/10 .
4. / 5 . المصدر نفسه . 134/10 ، 151/10 .

لذلك كان من صفات الحرف المدغم أنه يخفي في المدغم فيه أو يكاد .

" و الدغمة في الخيل : أن يخالف الوجه لون سائر الجسد ، و لا يكون إلا سوادا و من هـذا البـاب دغمهم الحر ، إذا أغشيتهم لأنه يغير الألوان و كذلك دغم الغيث الأرض إذا غيشها لأنه يغيـر مـن لونها " .(1) و في حديث ابن منظور عن لفظة – دغم – إشارة صوتية واضحة للدلالة إلى التغيـر الذي طرأ على اللفظة من خلال حديثه عن التغيير اللوني عند البشـر بسبب إصابتهم بالحـر الشديد الذي يغير من بشـرة الإنسـان و ميلها نحو السواد وكذلك الغيث إذا غشي الأرض فانه يغير مـن لونها المعتاد .

و يمكننا القول إن ابن منظور ابن بيئته ، لأنه استقى الأمثلة من الواقـع البيئي لتعليـل الظـاهرة الصوتيـة و هي ميزة قلما نجدها عند المعجميين و درس اللغويون المحدثون الإدغام تحت مصطلح المماثلة . فهذا ابن إبراهيم أنيس قد استخدم مصطلح فناء في تعريفه بالظاهرة " فنـاء الصـوت فـي الصوت آخر هوس اصطلح عليه القدماء على تسميته بالإدغام " . (2)

و قال آخر : " فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين و كان أحدهما مجهورا ، و الآخر مهموسا مثلا ، حدث بينهما شد وجذب كل واحد فيها يحـاول أن يجـذب الآخـر ناحيته و يجعله يتماثل معه في صفاته كلها أو بعضها " . (3)

و يرى أحدهم أن : " التماثل اللغوي هو اتحاد صامتين اتحادا تاما في المخرج و الصفة و لا يتحقق ذلك نظريا ، إلا بتكرار الصفات بنفسه ، و ضرب بذلك مثلا في (امدد يدك و اغضـض من صوتك) ففي هاتين الصيغتين تكرر الصامت نفسه مرتين ، الدال في الأول ، و الضاد فـي الثانـية و إذا وقع ذلك كان ثقيلا على ألسنة الناطقين ،

---

1. اللسان – دغم – 366/4 .
2. الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس ص 182 .
3. التطور اللغوي – رمضان عبد التواب ص 22 .

فتحصلوا منه بإدماج الصوتين المتماثلين في بعضهما ابتغاء الخفة في النطق و الاقتصاد في الجهد ، فقالوا (مد و غض) . (1)وظف المؤلف لفظ اتحاد صامتين و اشترط أن يكون اتحادا تاما في المخرج و الصفة و ضرب لذلك مثلا و تمثل علة الظاهـــرة في ثقل النطق ورام من ورائها الخفة و الاقتصاد في الجهد .

- شروط الإدغام : اشترط علماء اللغة ألا يذهب الإدغام بطائفة من الصفات التي امتاز بها الصوت العربي . قال المبرد : " الإدغام لا يبخس الحروف و لا ينقصها " . (2)

و بالنظر إلى هذه النظرة في العلة هو لإدغام في أصوات ذات صفات مميزة حتى لا تبخس هذه الأصوات فضيلتها و هي على سبيل المثال لا الحصر .

- السين و الصاد و الزاي لها فضيلة الوضوح لصفيرها .
- الشين و الضاد لهما فضيلة التفشي و الاستطالة .
- الراء لها فضيلة التكرار .

و لما كان الإدغام اختزال حرفين في حرف واحد و تحويل المدغم إلى جنس المدغم فيه ، فان اللسان يكون قد عالج هذه الصعوبة (الثقل) ليرفع عنه الثقل ، وذلك بأن يرتفع بالصوتين معا بعد ادغامهما يدل تكرار العمل و ذلك أثقل عليه .

- إجراء الإدغام : يجري الإدغام في الكلمة الواحدة كما يجري في الكلمتين المنفصـــــلتين ، و ذلك بإدغام المثلين أو المتقاربين في المخرج أو المتشبهين في الصفات .

و هو باب واسع لدخوله في جميع الحروف ما عدا الألف اللينة . (3)

---

1. المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية . د مكي دراد ص 112 – دار الأديب .
2. المقتضيب – المبرد 211/1 .
3. شذا العرف في فن الصرف – الشيخ الحملاوي – ص 128 .

و يتفرع إلى ممتنع و واجب و جائز .

أ / **الإدغام الممتنع** : و هو ما أفاد الإلحاق نحو " القردد ، و إنما أظهروا التضعيف لأنه ملحق بفعلل و الملحق لا يدغم " . (1)و تعليل عدم إدغام الملحق ورد أيضا في قول المبرد " ما كان من حرفين من جنس واحد فلا إدغام فيها إذا كانت في ملحقات الأسماء لأنها تنقص ما ألحقت به نحو: قردد و مهدد،لأنه ملحق بدعفر"(2).و في الأفعال نحو : جلبب وهيلل. (3)

ب / **الإدغام الواجب** : يجب الإدغام في الكلمة إذا سكن أول المثلين و تحرك الثاني نحو " مد ، و شد بالفتح ، و مل بالكسر ، لأن أصله ملل ، و حب بالضم أصله حبب ، و كذلك إذا تحركا معا ، إن لم يكن في الكلمة ما يدعو للإظهار " . (4)

ج / **الإدغام الجائز** : يجوز الإدغام كما يجوز الإظهار فيما كان من الأفعال عينه تاء على (افتعل) إذ تلتقي تاءان متحركتان نحو " اقتتلوا ، قتلوا و قتلوا " . (5)

إذا كان الإدغام هو تجاور صوتين متماثلين في صيغة واحدة أو في صيغتين متجاورتين ، فان التجانس هو نصف حال التماثل في أبسط تعريف له ، و معنى نصف حال التماثل (الإدغام) ، لان التجانس يقع عندما يتجاور صوتان متحدان في الصفة في الصفة أو في المخرج فقط ، أي وجود صامتين متحدين إما في الجانب الفيزيائي (الصفة) أو في الجانب االفيزيولوجي(المخرج) فقط . و يغلب على العملية الجانب الأول في مثل (افتعل) نحو (اضطرب ، ازدهر ، ادعى) .

---

1. الكتاب – سيبويه – 224/4 – و انظر لسان العرب – قرد 96/11 .
2. المقتضب – المبرد – 204/1 . و انظر اللسان – كندر 165/12 .
3. اللسان – 317//2 .
4. شذا العرق في فن الصرف – الشيخ الحملاوي ص 128 .
5. الكتاب – 443/4 – المحكم – قتل – 203/6 – انظر اللسان 34/11 .

2. **التجانس (الإبدال) :**

صيغة افتعل : يأتي التعبير بصيغة افتعل لأغراض و معان فنية ، منها ما يناسب السياق : الاجتهاد الطلب و التصرف و المبالغة في معنى الفعل . (1)

و تعد (التاء) في هذه الصيغة مزيدة و قد يتناسب مع صيغ أخرى و يتحكم في ذلك نوع الحرف الذي هو (فاء) " فعل " فإذا كان فاء " فعل " مثلا باء أو نونا أو قافا جاز تركيبها معها دون اللجوء إلى الإبدال من حروف أخرى نحو :

- ابتدأ من (بدأ) – و انتفع من (نفع) و اقتنع من (قنع) .

أما إذا كانت فاء الفعل واحدة من طروق الإطباق الأربعة أو جاءت زايا أو دالا أو ذالا أو واوا أو ياءا فإنها تبدل حرفا يشاركها في المخرج و يتحد مع فاء الفعل في الصفة نحو :

(اصطبر) من (صبر) ، (اضطرب) من (ضرب) ، (اظلم) من (ظلم) ، (اطلع) من (طلع) ، (ازدحم) من (زحم) ، (اذدكر) من (ذكر) ، (اتصل) من (وصل) و (اتسر) من (يسر) و أصلها تاء في هذه الصيغ على وزن (افتعل) .

---

1. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم – د : عبد الحميد احمد يوسف هنداوي ص 130 .

1) صيغة افتعل :

تحليل مكونات الصيغة و تعليلها صوتيا	الصيغة استعمالا	أصل االصيغة	الصيغة الثلاثية	الصيغة	الرقم
أبدلت التاء طاء لانهما من مخرج واحد و أن فاء الفعل (صاد) حرف مطبق يناسبه حرف مطبق مثله و هو (الطاء) لينسجم الصوتان (الصاد و الطاء) .	اصطبر	اصتبر	صبر	اصطبر	1
أبدلت التاء دالا لأنهما من مخرج واحد ورد فاء الفعل (زاي) حرف مجهور ، لا يناسبه (التاء) لأنه حرف مهموس ، فلا بد له من حرف آخر يناسب الزاي في الجهر و يكون من مخرج التاء . و هو (الدال).	ازدان	ارتان	زان	ازدان	2
أصل الصيغة اظتلم – قلبت (التاء) طاء لتوافق (الطاء) (الظاء) لأنهما مطبقان أولا ثم أدغمت الطاء فيالظاء .	اظلم	اظتلم	ظلم	اظلم	3
إذا كانت فاء الفعل مجهورة (الذال) (فالتاء) المهموسة لا تنسجم معها . لا بد من البحث عن حرف ينسجم مع (الذال) في الجهر و يكون من مخرج (التاء) وجدنا (الدال) . هذا أولا – و لكن الدال قريبة من الذال مخرجا و لكنها أقوى منها لأنها شديدة و الذال رخوة فصارت الصيغة (ادكر) .	اذذكر *	اذتكر	ذكر	اذكر	4
قلبت التاء (طاء) لأنها من مخرجها و هذا لتناسب الضاد ، لأنهما حرفان مطبقان .	اضطجع	اضتجع	ضجع	اضطجع	5
قلبت (تاء) افتعل (طاء) لتنسجم مع (فاء) الصيغة ثم ادغمت في (الطاء) الثانية .	اطتعن	اطتعن	طعن	اطعن	6
قلبت الواو ثاء ثم أدغمت في التاء الصيغة.	اتعد	اوتعد	وعد	اتعد	7

هذه هي المراحل التي يتم قطعها في عملية الإبدال تحقيقا للانسجام الصوتي في السياق وتحقيقا لمبدأ الاقتصاد في الأداء و الانسجام في الإيقاع .

* في صيغة (ادكر) يؤثر الصامت الأول في الثاني ، لأن الصيغة الثلاثيـــة (ذكـــر) و الصـــيغة المزيدة

(اذتكر) ، وقع تنافر بين التاء المهموس و الذال المجهورة فتأثرت التاء بجهر الذال ، فعادت مجهورة مثلها تحقيقا للانسجام ، و التاء إذا جهر تحولت إلى (دال) لأنهـــا من مخرجهـــا فتصـــير الصـــيغة الجديـــدة

(اذدكر) .

و كذلك تؤثر – الدال – في الذال ، لأن الدال شديدة ، و الذال صامت رخو ، و بذلك تتحول إلى (دال) ثم تدغم الدالان فتكون – ادكر – . (1)

2) صيغة الفعل :

يرد الإدغام في صيغة (انفعل) إذا كانت الميم هي فاء الفعل و ذلك في مثـــل – امحـــى أصله انمحى ، و الميم و النون متقاربتان . قال سيبويه " و تدغم النون مع الميم لأن صوتها واحـــد و هما مجهوران " . (2)

و تأتي هذه الصيغة لمعنى واحد المطاوعة ، و المطاوعة عند علماء التصريف هي قبول الأثـــر ، و ذلك فيما يظهر للعيون كالكسر و القطع و الجذب . (3)

---

1. الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – ص 211 .
2. الكتاب سيبويه 4/ 452 .
3. شرح شافية ابن الحاجب 108/1 .

3) صيغة تفاعل :

ورد في اللسان : درأ و تدارأ القوم : تدافعوا في الخصومة و نحوها و اختلفوا و المزيد في الفعل : ادرأ ، و أصله تدارا على وزن تفاعل حيث أدغمت التاء في الدال ، ثم اجتلبت همزة الوصل ليصح الابتداء بها . (1)

و منه قوله تعالى " و إذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها " (2) أي اختلفتم و تدافعتم ؛ و في الجذر (سأل) ورد قوله تعالى " و اتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام " (3) . فمن قرأ تساءلون فالأصل تتساءلون ، قلبت التاء سينا لقرب هذه من هذه و أدغمت فيها .

4) صيغة تفعل : ورد في معجم لسان العرب " تزينت الأرض بالنبات و أزينت و ازدانت ازديانا و تزينت و ازيانت و ازينت أي حسنت و بهجت " (4)

تقول: " ازينت الأرض بعشبها و ازينت مثله،و أصله تزينت فسكنت التاء و أدغمت في الزاي " . (5)

و في التنزيل : (يا أيها المزمل) (6)و أصل المزمل . المتزمل . و التاء أدغمت في الزاي لقربها منها " (7). و دلالة تزمل تلقف .

ترد هذه الصيغة لمعان مما يناسب السياق كالتكلف و التدرج في الشيء .

4) صيغة فنعلل : مثل ابن منظور لهذه الصيغة بهمرش : العجوز المضطربة الخلق .

---

1. اللسان درأ – 4 / 314 .
2. سورة البقرة الآية 72 .
3. سورة النساء الية 1 .
4. الكتاب 475/4 المقتضب 1 /242 – اللسان – زاين 6 /129 – 130 .
5. اللسان – زاين 6 /130 .
6. سورة المزمل الآية 1 .
7. الكتاب 4 /462 – التهذيب زمل 13 / 222 – اللسان – زمل – 83/6 .

جاء في قول ابن سيدة : جعلها سيبويه مرة فنعلا و مرة فعلال ، و رد أبو علي أن يكون فنعلا و قال : " لو كان كذلك لظهرت النون لأن إدغام النون في الميم من كلمة لا يجوز "(1).

و قيل أصله همرش (2).

تبين لنا من خلال هذا العرض أن ابن منظور قد أولى عناية كبيرة لظاهرة الإدغام بحيث تتبع مسارها و صنفها إلى ما هو واجب فيها و جائز و ممتنع ، و راعى في ذلك جملة من المقاييس كتقارب الحروف أو تباعدها أو تجانسها ، و نبه إلى استحالة إجراء الإدغام في بعض الحروف معللا ذلك بقرب مخارجها و لثقلها النطقي موضحا أن الإدغام وظف قصد تسهيل النطق و تخفيفه على اللسان و تذليل الصعوبات و اختصار الجهد المبذول و صحح بعض العيوب النطقية و خاصة عند الأطفال .

---

1. المصدر نفسه و انظر اللسان همرش 15 /131 .
2. برامج شرح الشافية 273/3.